

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: 102 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]، أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله: يقول أنس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

أيها المسلمون في هذا الحديث يُخبرنا رسول الله ﷺ أن المسلم لا يكون كامل الإيمان حتى يُقدِّم محبة رسول الله ﷺ على محبة أمه وأبيه وابنه وابنته والناس أجمعين.

محبة رسول الله -ﷺ- معناها تعظيمه وتوقيره ونصرة دينه، ومعناها أيضاً إتباعه والتخلق بأخلاقه، والالتزام بمنهجه وشريعته، والأحكام التي بلغها عن ربه -عز وجل-، وأن تكون هذه المحبة مقدّمة على كل محبة بعد محبة الله -عز وجل- -مقدمة على محبة النفس والمال والأهل والولد، وكل ما في هذا الوجود بعد الله -عز وجل-، وأن تكون هذه المحبة راسخة ثابتة ينتج عنها استحسان كل ما حسَّنه رسول الله -ﷺ- واستقباح كل ما قبحه، ألا نرى شرعاً فوق شرع الله، ولا حكماً فوق حكم الله، إذ محبة النبي ﷺ من أصول الإيمان، وهي ملازمة لمحبة الله عز

وجل، فقد قرنهما الله بهما، وتوعد من قدم عليهما محبة شيء من الأمور المحبوبة طبعاً من الأقارب والأموال والأوطان وغير ذلك. مصداقاً لقوله تعالى: **(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)** [التوبة:24].

وفي صحيح البخاري: (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ. » فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « الْآنَ يَا عُمَرُ. » فيجب تقديم محبة الرسول ﷺ على النفوس والأولاد والأقارب والأهلين والأموال والمساکين، وغير ذلك مما يحبه الناس غاية المحبة.

فقد جمع ﷺ في هذا الحديث أنواع المحبة؛ فالمحبة على ثلاثة أنواع: محبة إجلال وإعظام؛ كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة؛ كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان؛ كمحبة سائر الناس، ومحبة النبي ﷺ لا بد أن تكون فوق ذلك كله وأعظم منه. فينبغي للعبد أن يسعى لنيل هذه المحبة التي يقدمها على محبة غيره من البشر، فمحبة النبي صلى الله عليه وسلم لها دلالات وعلامات:

1. أول تلك العلامات الاقتداء به - ﷺ - والتمسك بسنته، واتباع أقواله وأفعاله، وطاعته، واجتناب نواهيه، والتأدب بأدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا من كتاب الله ومن سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فمن الكتاب، قوله سبحانه: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (آل عمران:31) وقال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (الأحزاب:21) ، ومن السنة قوله ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) صححه النووي في الأربعين وضعفه آخرون.

2. تصديقه فيما أخبر: من أصول الإيمان وركائزه الرئيسة، الإيمان بعصمة النبي -ﷺ- وسلامته من الكذب أو الهتان، وتصديقه في كل ما أخبر من أمر الماضي أو الحاضر أو المستقبل، قال الله تعالى: ((والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)) [النجم: 14]. والجفاء كل الجفاء، بل الكفر كل الكفر اتهامه وتكذيبه فيما أخبر، ولهذا ذم الله المشركين بقوله: ((وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين، أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)) [يونس: 37-39].

3. ومنها الإكثار من ذكره ، والتشوق لرؤيته، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره وأحب لقاءه ، قال ابن القيم رحمه الله : " كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه. "

4. تعظيم النبي ﷺ وتوقيره والأدب معه: وهذا من مقتضيات مقام النبوة والرسالة، ومن كمال الأدب وتمام التوقير، وهو من أعظم مظاهر حبه، ومن أكد حقوقه ﷺ على أمته، كما أنه من الواجبات الدينية العظيمة، وعلى قدر معرفة العبد للنبي ﷺ يكون تعظيمه؛ ولذا كان الصحب الكرام أعظم الأمة تعظيماً وتوقيراً وتأدباً مع النبي ﷺ؛ يقول الله تبارك وتعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: 157].

5. ومن علامات محبته - ﷺ - الثناء عليه بما هو أهله ، وأبلغ ذلك ما أثنى عليه ربه جل وعلا به ، وما أثنى به هو على نفسه ، وأفضل ذلك : الصلاة والسلام عليه ، لأمر الله عزوجل ، وتوكيده ، قال سبحانه: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (الأحزاب: 56) ففي هذه الآية أمر بالصلاة عليه، لهذا قال النبي - ﷺ - (البخيل من ذُكرت عنده فلم يُصلِ علي) رواه الترمذي.

6. ومنها التحاكم إلى سنته - ﷺ - قال الله تعالى: { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما } (النساء: 65).

7. ومنها محبة من أحب النبي - صلى الله عليه وسلم - من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار، وعداوة من عاداهم، وبغض من أبغضهم وسبهم، والدفاع عنهم، والاهتداء بهديهم والاقتراء بسنتهم.

8. بغض من أبغضه الله ورسوله: يقول الله تبارك وتعالى: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: 22].

9. ومن تلك العلامات الذب والدفاع عن سنته - ﷺ - إن الذب عن رسول الله ﷺ ونصرته علامة على محبته واتباعه، ومحبة دينه وشرعته؛ يقول الله تبارك وتعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحشر: 8]، والذب عن سنته يكون بحفظها وتنقيحها،

ونشرها في العالمين، وحمايتها من انتحال المبطلين، وتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين ورد شبهات الزنادقة والطاغين وبيان أكاذيبهم.

10. ومنها التأدب عند ذكره - ﷺ - فلا يذكر اسمه مجرداً بل يوصف بالنبوة أو الرسالة، فيقال: نبي الله، رسول الله، ونحو ذلك، والصلاة عليه عند ذكره، والإكثار من ذلك في المواضع المستحبة.

11. ومنها نشر سنته - ﷺ - وتبليغها وتعليمها للناس، فقد قال ﷺ: (بلغوا عني ولو آية) رواه البخاري ومسلم.

12. وَمِنْ دَلَائِلِ وَعَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْتِنَابُ الْمُحَدَّثَاتِ

وَالْبِدْعِ: يَظُنُّ الْبَعْضُ: أَنَّ لَهُ الْحَقَّ فِي التَّغْيِيرِ عَنْ مَحَبَّتِهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَرَاهُ وَيَسْتَحْسِنُهُ مِنَ الْأُمُورِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرَاعِيَ قَوَاعِدَ الشَّرْعِ وَأُصُولَهُ! وَمِنْ ذَلِكَ: الْغُلُوفُ فِي حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَعَلُوا لَهُ بَعْضَ مَرَاتِبِ الْأُلُوهِيَّةِ! وَابْتِدَاعُ أُمُورٍ فِي الدِّينِ تَصِلُ إِلَى حَدِّ الْعِظَائِمِ! وَارْتِكَابُ الشَّرَكِيَّاتِ وَالْكُفْرِيَّاتِ؛ انْسِيَاقًا وَرَاءَ الْعَوَاطِفِ وَالْأَهْوَاءِ! كُلُّ ذَلِكَ بِدْعُوِي مَحَبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وَقَدْ حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالضَّلَالِ عَلَى هَذَا الصِّنْفِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [الْقَصَصِ: 50].

وَتَحْقِيقُ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ عَنْ طَرِيقِ مَا شُرِعَ فِي هَذَا الدِّينِ، لَا عَنْ طَرِيقِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدًى﴾ [النَّجْمِ: 23]. وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَذَرْنَا مِنَ الْبِدْعِ بِقَوْلِهِ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» صَحِيحٌ - رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَهُنَا نَتَسَاءَلُ: أَيُّ مَحَبَّةٍ هَذِهِ الَّتِي تُحِيزُ لَهُمْ وَلَآءَ أَنْ يَبْتَدِعُوا فِي دِينِ اللَّهِ بِزِيَادَةٍ، أَوْ نَقْصٍ، أَوْ تَغْيِيرٍ، أَوْ تَبْدِيلٍ؟! لَا شَكَّ أَنَّ فِعْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ يُنَاقِضُ الْمَحَبَّةَ وَيُضَادُّهَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً. وَلَا عُذْرَ لِفَاعِلِهَا؛ وَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِحُسْنِ نِيَّةٍ،

فَحُسْنُ النِّيَّةِ لَا يُبِيحُ الْإِبْتِدَاعَ فِي الدِّينِ، فَقَدْ كَانَ جُلُّ مَا أَحْدَثَ أَهْلُ الْمِلَلِ قَبْلَنَا - مِنَ التَّغْيِيرِ فِي دِينِهِمْ - عَنْ حُسْنِ نِيَّةٍ، فَمَا زَالُوا عَلَى حَالِهِمْ تِلْكَ حَتَّى صَارَتْ أَدْيَانُهُمْ عَلَى غَيْرِ مَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُمْ!

وَمِمَّا يُؤَسَفُ لَهُ: أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَمَسَّكُ بِتِلْكَ الْبِدْعِ تَقْلِيدًا لِمَشَايِخِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ أَهْلِ بَلَدِهِ! وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزُّحْرَفِ: 43]. وَكَانَ حَرِيًّا بِهَؤُلَاءِ أَنْ يَفْتَدُوا بِصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِينَ كَانُوا أَشَدَّ الْأُمَّةِ مَحَبَّةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشَدَّهُمْ تَعْظِيمًا لَهُ، وَكَانُوا أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الْخَيْرِ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

الغلو في محبة الرسول -ﷺ-

انحرف بعض الناس عن هدي النبي -ﷺ- وأحدثوا في دين الله عز وجل ما ليس منه، وغيروا وبدلوا، وغلوا في محبتهم للرسول -ﷺ- غلواً أخرجهم عن جادة الصراط المستقيم، الذي قال الله عز وجل فيه: ((وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)) [الأنعام: 153].

وقد كان رسول الله -ﷺ- حريصاً على حماية جناب التوحيد، فكان يحذر تحذيراً شديداً من الغلو والانحراف في حقه، ودلائل ذلك كثيرة جداً منها:

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله.»

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد إلا أنا أنهيكم عن ذلك يحذر ما صنعوا.»

- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي -ﷺ-: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي -ﷺ-: «جعلني لله عدلاً، بل قل ما شاء الله وحده.»

- وعن أنس أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله -ﷺ: «قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلني الله عز وجل.»

ونظائر هذه النصوص كثيرة جداً، وثمرتها كلها بيان أن محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتعظيمه لا تكون إلا بالهدي الذي ارتضاه وسنه لنا، ولهذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». (21)

فتأمل أخي المسلم تلك العلامات، واحرص على تحقيقها وتعظيمها، والحذر من البدع ومحدثات الأمور واعلم أن المحبة ليست ترانيم تغنى، ولا قصائد تنشد، ولا كلمات تقال، ولكنها طاعة لله ورسوله ﷺ، وعمل واتباع، وتمسك واقتداء، نسأل الله أن يعيننا وإخواننا على التزام سنة نبينا ﷺ ما حيننا.

ثمرات محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وهذا الحب الكامل للنبي ﷺ له ثمرات عاجلة وأجلة، فمن ثمرات حب النبي ﷺ تذوق حلاوة الإيمان؛ قال النبي ﷺ: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)).

ومن ثمرات هذا الحب الكامل للنبي ﷺ أنه يكون معه في الجنة، عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: "يا رسول الله، متى الساعة؟"، قال: ((ما أعددت للساعة؟))، قال: "حب الله ورسوله ﷺ"، قال: ((فإنك مع من أحببت)).

قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ: ((إِنَّكَ مَعِ مَنْ أَحْبَبْتَ)).

قال أنس رضي الله عنه: "فأنا أحب الله ورسوله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما؛ فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم"

قال تعالى: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز.....
بارك الله لي

ثم صلوا.....

روى الإمام البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى

إذا قضى حديثه قال: «أين - أراه - السائل عن الساعة، قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة.» رواه البخاري في صحيحه (59) و(6496).

الإسلام دين الزّاهة ، والعفة ، والأمانة، قال الله تعالى في محكم آياته : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58) (النساء)، وفي سنن الترمذي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَنَّاكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ». وروى الإمام أحمد وغيره : (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ - إِلَّا قَالَ «لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ». والأمانة كلمة واسعة المفهوم، ويدخل فيها أنواع كثيرة، ومظاهر متعددة، ومنها: الدين، فالأمانة العظمى هي الدين، والتمسك به، قال القرطبي: (الأمانة تعم جميع وظائف الدين، وتبليغ هذا الدين أمانة)، وأيضا كل ما أعطاك الله من نعمة فهي أمانة، فالبصر أمانة، والسمع أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، واللسان أمانة، والمال أمانة، والمنصب أو الوظيفة والجاه أمانة، وكذلك العرض أمانة، والولد أمانة، والعمل الذي توكل به أمانة، والسر أمانة، والودائع أمانة، والصَّلَاةُ أمانة، وَ الصَّوْمُ أمانة، والغسل والوضوء أمانة، وهكذا... وكما أمر الاسلام بحفظ وأداء الأمانات، فقد حذر أيضا من الخيانة، وتضييع الأمانة، فقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الأنفال 27].

ومن أعظم الخيانات إسناد الأمور إلى غير أهلها، لما في ذلك من الظلم للأكفاء بعدم وضعهم في موضعهم، وإسناد الأمر إليهم، ولغير الأكفاء الذين أُسندت إليهم الأمور، وهم غير قادرين على القيام بها، وكذلك للأمة التي تصطلي بنار التدابير السيئة الصّادرة من غير الأكفاء، بل وأخبر الرسول ﷺ كما في الحديث المتقدم، أن ضياع الأمانات، وانتشار الخيانات، دليل على فساد الفطرة، وانقلاب

الموازنين، وتبدل الأحوال، بل وعد ذلك علامة على قرب قيام الساعة، وانتهاء الدنيا، فقال ﷺ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

أيها المسلمون: نعم، فقد صدق رسول الله ﷺ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» فمن أهم مظاهر تضييع الأمانات، إسناد أمور الناس من إماره، وخلافة، وقضاء، ووظائف على اختلافها إلى غير أهلها القادرين على تسييرها، والمحافظة عليها، لأن في ذلك تضييعاً لحقوق الناس، واستخفافاً بمصالحهم، وإيغاراً لصدورهم، وإثارة للفتن بينهم.

فإذا ضيع من يتولى أمر الناس الأمانة، والناس تبع لمن يتولى أمرهم، كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصلاح حال الولاية صلاح لحال الرعية، وفسادهم فساد لهم، وإسناد الأمر إلى غير أهله دليل واضح على عدم اكتراث الناس بدينهم، بدليل أنهم يولون أمرهم لمن لا يهتم بدينه، وهذا إنما يكون عند غلبة الجهل، ورفع العلم، وتزداد خيانة الذي يسند الأمور إلى غير أهلها، إذا علم أن الأكفاء نادرون بين البشر، فإذا وُجد هذا النادر واختير غيره من الجهلة أو الخونة أو الضعفاء، كان ذلك دليلاً على أن الخيانة في تارك الكفاء إلى غيره متأصلة فيه، وأنه لا يريد للأمة خيراً، وإنما يريد لها الشر، وإنزال الفساد بساحها، إشباعاً لرغبات شريرة فيه، وأهواءٍ فاسدةٍ، وجلباً لمصالح شخصية.

فأمانة المسؤول أمانة عظيمة، لاختيار الأصلح لكل عمل، دون مراعاة لأحد، ولا محاباة لفرد من الأفراد، ودون تقدير لشعور قريب أو صديق، فلن يجادل عن المفرط أحد يوم القيامة، بل سيقاسي ألوان العذاب بسبب تفريطه في الأمانة وتضييعه لها، وسيكون جلساؤه خصماءه، وشهداء عليه، وإن المتأمل في هذا الزمن، والنّاظر في واقع المسلمين اليوم، يجد أن كثيراً من الأعمال يتولاها أناسٌ ليسوا أهلاً لهذا المكان، ولا يخافون الله ولا يهابونه، فكيف تسيّر سفينة الحياة مع تلك الفئة من الناس؟! روى الإمام أحمد في مسنده، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ،

قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ حِينَ بَعَثَنِي إِلَى الشَّامِ: يَا زَيْدُ، إِنَّ لَكَ قَرَابَةً عَسَيْتَ أَنْ تُؤْثِرَهُمْ بِالْإِمَارَةِ، وَذَلِكَ أَكْبَرُ مَا أَخَافُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً، فَعَلَّيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ....)، فكم من غير المؤهلين مسندة إليهم الأمور؟؟ وكم أثبتت لنا الحقائق والتجارب السابقة والكثيرة أن الأمانة قد ضيعت في كثير من الحالات بسبب إسناد أمرها إلى غير المؤهلين لها.

فإن الله أيها المسلمون في أمانة إسناد المهام إلى أهلها، فيجب على من ولاه الله أمراً من أمور المسلمين، أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل، وقد توعده النبي -ﷺ- بالخيانة لله ورسوله والمؤمنين من خالف ذلك، ففي سنن البيهقي (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-: «مَنْ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِيهِمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُ وَأَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ».) وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلاً لمودة، أو قرابة بينهما، فقد خان الله، ورسوله، والمسلمين». فالأمانة فضيلة ضخمة ثقيلة، وقد تحملها الإنسان من جهله، كما في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) الأحزاب 72، وأذكركم بما بدأت به، قول رسول الله ﷺ: «فَإِذَا ضَيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ «إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

فتفكروا رحمكم الله في حال المسلمين اليوم وحال أمتنا الصومالية، والواقع الأليم الذي تعيشه الأمة في هذا الزمن، من توسيد الأمر لغير أهله، الذين يستغلون مناصبهم لاستغلال المسلمين، والذين لا يأبهون بأكل الرشوة بالباطل، وتأخير معاملات المسلمين، والذين لا يتورعون عن الظلم والعدوان، ومع ذلك

تجددهم قد تسنّموا قمم المراتب، وأعالى المناصب، فأين العزّة والفلاح؟ وأين الرّفعة والصّلاح التي ينشدها المسلمون في كلّ مكانٍ مع هذا التّفريط في الأمانة؟! **أيّها المسلمون:** على الموظّف والمُروّس، وعلى العامل والخادم، أن يؤدّي كلّ منهم العمل المناط به على أكمل وجه وأحسنه، فذلك من الأمانة، ولا بدّ أن يستنفد كلّ وقته، وكلّ جهده في إكمال عمله وتحسينه، أمّا من فرط في أداء عمله المنوط به، كمن يأخذ الباقي دون علم صاحب العمل، أو من يقوم باستخدام آلات العمل وأجهزته ومعدّاته من أجل مصالحة الشّخصيّة، أو من يأخذ شيئاً من عمله لبيته أو لغيره دون إذن مسبق، أو يسرق آلات الحرب ومعدّاته من عمله، أو يؤخر معاملات المسلمين من أجل حفنةٍ قذرةٍ من أوساخ الدّنيا، أو يقبل الواسطات، أو يقدّم نفسه في العطايا، فتلك الأعمال وغيرها من الخيانة والغلول والعياذ بالله، قال تعالى: **(ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة)**، عَنْ عَدِيٍّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **(مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكْتَمْنَا مَخِيطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الْأَنْصَارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكُ، قَالَ: وَمَا لَكَ، قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى).**